يفتح ملفات المسرح المحلي والانتاج التلفزيوني في فلسطين

عفيف شليوط: المسؤولون يكرهونني لأنني صاحب موقف!

شفاعمرو ـ «القدس العربي»

عفيف شليوط فنان، كاتب، مخرج وممثل مسرحي وتلفزيوني، أثار دائماً الجدل حول إنتاجاته الفنية وكتاباته، ينتقد بجرأة، خاض معارك عديدة، لا يعرف معنى اليأس، تحدى مؤسسات ودوائر ومسؤولين ووسائل اعلام. الجمهور يحبه وأصحاب النفوذ يفضلون عدم التعامل معه، إلا أنه فرض نفسه على الساحة الثقافية والمسرحية بمجهوده الخاص، حقق النجاحات تلو النجاحات رغم كل المحاولات الفاشلة للحد من نشاطه.

وعندما تسأله لماذا هذا العداء لعفيف من قبل المسؤولين، يجيبك ببساطة: «لأني صاحب موقف!». وماذا عن بقية الفنانين سألته، فأجاب: «غالبيتهم بلا طعم ولا لون، يتغيرون ويتبدلون حسب الحاجة».

وعندما تسأله عن الصحافة يجيبك: «بعض المحررين يعتقدون بأنه على الفنان أن يركع أمام مكتبه ليستجديه النشر عنه، وليستشيره بكل كبيرة وصغيرة».

بالإضافة لإنجازاته الفنية المتعددة، دخل عفيف شليوط مجال العمل الإداري، فعمل مديراً لإنتاج برامج تلفزيونية، ويشغل منذ العام 1996 منصب مدير عام مؤسسة «الأفق» للثقافة والفنون في شفاعمرو، وعضو مجلس إدارة مسرح الميدان. في العام 1983 بادر إلى تأسيس رابطة المسرح العربي، والتي ضمت في إطارها عشرة فرق مسرحية في حينه وأقامت مهرجاناً للمسرح العربي في العام نفسه. كما أسس عفيف مسرح الغربال الشفاعمري في العام 1977 والذي إستمر في عطائه ونشاطه المسرحي حتى العام 1987.

وفي العام 1996 أسس عفيف مؤسسة «الأفق» للثقافة والفنون في شفاعمرو، والتي أنشأ في إطارها مسرح الأفق، ولا تزال مؤسسة الأفق تمارس نشاطها وتحقق الإنجاز تلو الآخر، وكان إخرها إفتتاح مركز الأفق للثقافة والفنون في شفاعمرو التابع للمؤسسة، والتي لا يزال عفيف يتولى مسؤولية إدارتها منذ تأسيسها.

وفي مجال الإبداع الأدبي، كتب عفيف العديد من المسرحيات، والتي عرضت جميعها على خشبة المسرح، وصدرت بعضها في كتب، بالإضافة الى مجموعتين قصصيتين، الأولى بعنوان «الصمت القاتل»، والثانية بعنوان «جرس الإنذار». وصدر مؤخراً لعفيف كتاباً بعنوان «جذور الحركة المسرحية الفلسطينية في الجليل»، قام من خلاله بتوثيق الحركة المسرحية المحلية منذ العام 1900 وحتى يومنا هذا، وأصبح مرجعاً للباحثين والمهتمين بالحركة المسرحية الفلسطينية في الداخل.

■ ما هو سر نجاح مسرحية «إعترافات عاهر سياسي»؟

■ عندما شرعت في العمل على مسرحية «إعترافات عاهر سياسي»، لم أكن قد إنتهيت بعد من كتابة نص المسرحية، إنما كانت بمثابة مشروع عمل. وعندما قررت المشاركة في مهرجان مسرحي في عكا في العام 2002، شعرت بتوتر شديد خلال إنتاج العمل، فقد كان الوقت ضيّقاً، والنص لم يكتمل، ولكني أعشق التحدي، وشاركني في هذه المغامرة الصديق المخرج ماهر فرّاج. فتابعت كتابة المسرحية خلال التدرب عليها، فكنت أكتشف المواقف والحالات خلال التدريبات، وهذا ما كان.

أمّا عن سبب نجاح المسرحية، فأعتقد أن الجمهور أحبها لأنها تعبر عنه وبصدق. ولأنها تنتقد بجرأة وصراحة وحدّة لم يعهدها المسرح المحلي من قبل. كما أن ادائي في هذه المسرحية كممثل كان متميزاً وبشهادة النقاد والجمهور، وأكبر دليل على ذلك منحي جائزة أفضل ممثل.

■ يقال أنك لم تتوقع الفوز بالجائزة المذكورة، ما ردك؟

■ نعم، لم أتوقع الفوز لأن الإعتبارات غير المهنية لدى لجان التحكيم في المهرجانات تلعب عادة دوراً كبيرا. كما أني لاحظت إهتماماً خاصاً من قبل إدارة المهرجان بمسرحية «آكلة لحوم البشر». وأقولها صراحة أن الجمهور هو الذي أنصفني، فردود فعل الجمهور على مسرحيتي «إعترافات عاهر سياسي» وشدة إنبهاره بها، هو الذي أرغم لجنة التحكيم على منحي جائزة المهرجان مناصفة مع هذه المسرحية.

■ وهل كنت راضيا عن النتيجة؟

■ لا، فكنت أستحق الجائزة لوحدي وبدون شريك، إلا أنهم أرادوا إرضاء طاقم مسرحية «آكلة لحوم البشر» وعلى حسابي.

■ وما هو الدليل على صدق كلامك، فكل شخص يقول عن مسرحيته بأنها أفضل مسرحية؟!

■ أولاً المسرحية الأخرى توقفت عروضها فور إنتهاء المهرجان، أما مسرحيتي فلا تزال تعرض حتى اليوم، وتم تقديم سلسلة عروض لهذه المسرحية في حيفا والناصرة والقدس وشفاعمرو والمكر والرينة وقلنسوة وعيلين والعديد العديد من القرى والمدن العربية. كما إمتدحها كتاب ونقاد معروفين مثل: جميل السلحوت، فتحي فوراني ومحمد صفوري.

■ في الحقيقة ومن خلال متابعتي لنشاطك المسرحي، أثبت لنا أنك ممثل متألق من خلال مسرحية «رأس المملوك جابر» لمسرح بيت الكرمة، «هيصة» لجوقة البعث، و«بموت إذا بموت» و«إعترافات عاهر سياسي» لمسرح الأفق، وكاتب مسرحي جيّد من خلال مسرحية «بموت إذا بموت» و«إعترافات عاهر سياسي» و «أبو مطاوع وحرية المرأة»، ومخرج مسرحي أيضاً من خلال «القنديل الصغير» و«شهادات للبيع»... ولكن منذ عملك في مؤسسة الأفق لم تشارك في أعمال مسرحية خارج إطار الأفق.

■ أنت تثيرين فيّ مشاعر الألم عندما تطرحين مثل هذا السؤال. فمنذ إنشاء مؤسسة الأفق لم أتلق تقريباً أي عرض عمل أو مشاركة في مسرحية خارج إطار مسرح الأفق، رغم أن لي إنجازات لا يمكن تجاهلها، فحتى اليوم ورغم مرور 17 عاماً على عرض مسرحية «رأس المملوك جابر» لا يزال الذين شاهدوا هذه المسرحية يذكروني بشخصيتي في هذه المسرحية أو بشخصية محامي الجماعة في المسرحية الغنائية «هيصة». أعتقد أن المشكلة تكمن في التفكير العقيم لدى معظم إدارات المسارح لدينا، فهم ينظرون لمن ينشىء مسرحاً بأنه منافس لهم ويجب محاربته وتصفيته، بدلاً من خلق جو من التعاون وتبادل الخبرات بين الفرق المسرحية.

■ ألا تعتقد بأنه من حق كل فرقة مسرحية أن تثبت ذاتها وتنافس الفرق الأخرى؟

■ إذا كان التنافس شريفاً فلما لا، ولكن ما يحدث عندنا، أن التنافس يجري على الميزانيات والأسعار. فبأي حق تستخدم فرق مسرحية الدعم الذي تتلقاه من وزارة المعارف لضرب فرق مسرحية أخرى بواسطة تنظيم عروض مسرحية بأقل من سعر التكلفة مستخدمة الدعم المالي لتغطية العجز الناتج عن تخفيض أسعار عروضها. فهنا تم إستخدام الدعم المالي لضرب فرق مسرحية ومحاولة سحقها بدلاً من تطوير وتقدم الحركة المسرحية في البلاد.

■ قبل عدة سنوات تم إغلاق مركز الأفق للثقافة والفنون، وكان هنالك إحتمال لإغلاق مؤسسة الأفق للثقافة والفنون، واليوم يتم إفتتاح مركز الأفق من جديد وبمكان آخر. هل يمكنك أن تطلعنا على ما يجري الآن في المؤسسة، وعن وضعها الإداري؟

■ أنا لا أنكر بأن مؤسسة الأفق مرّت بأزمة مالية في مرحلة زمنية معينة. إبتدأت المشكلة بعد إفتتاح مركز الأفق الأول في قاعة مجلس عمال شفاعمرو، حيث تم التعاقد بين المؤسسة وإدارة المجلس، على أن تقوم المؤسسة بتفعيل القاعة. وإتخذت المؤسسة هذه الخطوة بناء على وعود تلقتها من دوائر رسمية بتخصيص دعم مادي خاص بالمركز، وإستناداً على هذه الوعود خطت المؤسسة هذه الخطوة. ولكن بعد مرور السنة الأولى على إفتتاح المركز، لم يتم تحويل الميزانية التي إلتزمت جهات معينة بتحويلها للمؤسسة لمشروع المركز، وهنا بدأت الأزمة. فدخلت المؤسسة بعجز مالي، وتحول مشروع المركز الى عبء مالي على الميزانية العامة للمؤسسة. وبعد نقاش طويل داخل مجلس إدارة المؤسسة، إتخذنا القرار بإستمرار المركز لسنة أخرى، خاصة أننا تلقينا وعوداً مرة أخرى بتخصيص ميزانية خاصة بمشروع المركز. كما نجح المركز بأن يستقطب جمهوراً وفنانين، وقام بمبادرات عدة، وكان فريداً من نوعه في مدينة شفاعمرو والمنطقة، وكان من الصعب علينا أن نتخذ قراراً بإغلاق المركز.

■ إذاً لماذا تم في نهاية المطاف إغلاق المركز؟

■ في النهاية، وبعد مرور ثلاث سنوات على إنشاء مركز الأفق، إزداد العجز المالي، ولم يتم تحويل الأموال المستحقة لمشروع المركز، وتوصلت لنتيجة أن المؤسسة لا يمكنها الإستمرار في إنتاج أعمال مسرحية وتقديم الفعاليات والنشاطات الثقافية والفنية المختلفة، بسبب العجز الذي سببه المركز، وأصبح هنالك خطورة جدية على إستمرار عمل المؤسسة. لذلك إتخذت قراراً جريئاً ومؤلماً في ذات الوقت وهو إغلاق مركز الأفق، رغم ما سببه من إحباط لدى البعض. وفي الوقت ذاته وضعت خطة إشفاء لمدة ثلاث سنوات، لإخراج المؤسسة من أزمتها المالية، وأجريت تقليصات في ميزانية المؤسسة من جهة، وعملت على زيادة دخلها الذاتي من جهة أخرى، الى أن خرجت المؤسسة من أزمتها، وأستطيع القول اليوم، أن مؤسسة الأفق الآن في وضع مالي مستقر، وعملنا سيكون من أجل زيادة الميزانية لتطوير عمل المؤسسة ومن أجل أستيعاب طاقات شبابية جديدة.

■ ألا توجد خطورة بعودة ذات الأزمة بعد إفتتاح المركز من جديد؟

■ لا توجد خطورة من هذا النوع على الإطلاق، لأن المكان الجديد مهيىء لفعاليات مختلفة مثل معارض، دورات، ندوات، عروض فنية مصغرة وأمسيات فنية، مقهى فني، محطة في المسار السياحي لمدينة شفاعمرو. وميزانية تفعيل المركز الجديد التي وضعناها تشكل نسبة 50 % من ميزانية المركز السابق، بينما إمكانيات تفعيله، والدخل الذاتي للمركز الجديد تفوق الدخل الذاتي للمركز السابق. فقد وضعنا برنامج عمل للمركز، عازمين من خلاله أن يمول المركز نفسه بنفسه في المرحلة الأولى، على أن يتحول في المرحلة الثانية الى عامل مؤثر وهام في دفع نشاطات المؤسسة بشكل عام. ونحن نطمح في مؤسسة الأفق، أن يكون مشروع مركز الأفق، نقطة إنطلاق لإحياء منطقة السوق القديم وقلعة الظاهر عمر.

■ منذ مدة طويلة لم نشاهدك على شاشة التلفزيون، رغم أنك كنت ممثلاً ومنتجاً ومقدما لبرامج تلفزيونية متعددة، فما هو سر إختفائك؟

■ قصة التلفزيون قصة! ففي الحقيقة يسيطر على إدارة التلفزيون قسم البرامج العربية في المحطات المحلية أشخاص وللأسف يضعون العراقيل لكل مبدع ومن منطلقات شخصية ونظرة فوقية للفن المحلي. بإختصار إنهم يقتلون الإبداع، وعندما دخلت مجال الإنتاج التلفزيوني واجهت صعوبات وأحيكت المؤامرات لإبعادي عن الإنتاج التلفزيوني. وسيأتي اليوم الذي أكشف للقراء حقائق مذهلة عن كيفية العمل في الداخل، والمخالفات التي ترتكب دون محاسب أو رقيب، ولدي وثائق تثبت صدق أقوالي.

■ لماذا لا تنشر هذه الحقائق الآن؟

■ لأنه لم يحن الوقت بعد. ولأني عند نشر هذه الحقائق سأخوض معركة ضارية ضد الفساد في هذا الجهاز، وأنا حالياً غير مستعد بشكل كاف لهذه المعركة.

■ عندما أسست مسرح الغربال الشفاعمري في العام 1977 كنت لا تزال طالباً في المدرسة الثانوية، ورغم ذلك تمكنت من قيادة المسرح لمدة عشر سنوات بنجاح كبير. وقدم هذا المسرح أكثر من عشر مسرحيات نذكر منها: «الموت الأكبر» لزكي درويش، «حصحص الحبوب» لتوفيق الحكيم، و«إجازة» من تأليف: سميح القاسم، سلمان ناطور وعفيف شليوط، و«كفى»، «مرض الوظيفة» و «أبو مطاوع وحرية المرأة» من تأليفك. لماذا إختفى هذا المسرح، وهل هنالك علاقة بين تسمية مؤسسة الغربال في شفاعمرو بنفس الإسم؟

■ أولاً أنا أعتز جداً بتجربتي في مسرح الغربال، الذي حقق نجاحات كبيرة، والذي شملت عروضه كافة أنحاء البلاد بالإضافة للمناطق الفلسطينية. ولكن للأسف لم نسجل هذا المسرح كجمعية عثمانية، وبالتالي لم نتلق دعماً مادياً. زد على ذلك الخلافات الداخلية بين أعضاء المسرح التي أدت الى توقف عمله وإغلاقه نهائياً. أما بالنسبة للشبه في التسمية بين مسرح الغربال الذي أسسته وبين تسمية مؤسسة الغربال في شفاعمرو، فللموضوع قصة. صدف بعد أن توقف مسرح الغربال عن نشاطه، أن عملت في مسرح «حمامة وزغلول» للأطفال بإدارة علي عباسي. وبعد أن توثقت العلاقة بيني وبين علي عباسي في تلك الفترة، عرض علي عرضاً مغرياً بأن أشاركه في تأسيس مسرح جديد، ونظراً لمعرفته بمدى تعلقي بإسم الغربال، إقترح أن يطلق إسم الغربال على هذا المسرح، وهذا ما كان. ولكن الأمور لم تتطور بالشكل الذي تمنيته، إلا أن علي قام بتسجيل الجمعية رسمياً بإسم الغربال. وفي الحقيقة حتى اليوم هنالك من يسألني عن أخبار مؤسسة الغربال، أو لا يميز بين مسرح الغربال الذي أسسته وبين مؤسسة الغربال بإدارة علي عباسي. ومنعاً للإلتباس وضحت هذا الموضوع في كتابي «جذور الحركة المسرحية الفلسطينية»، حيث أطلقت اسم مسرح الغربال على مسرحي، ومسرح مؤسسة الغربال على المؤسسة التي يديرها علي عباسي.

عفيف شليوط (القدس العربي)

التقته: نها خالد

■ نبذة عن حياة الفنان والكاتب عفيف شليوط:

ولد في مدينة شفاعمرو في العام 1962، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدينته شفاعمرو، درس موضوعي الأدب المقارن واللغة العربية في جامعة حيفا. عمل محرراً في جريدة «الاتحاد»، وسكرتيراً لتحرير مجلة «مواقف»، ورئيساً لتحرير صحيفة «العاصفة»، ومجلة «الأفق». كما أسس في العام 1977 مسرح الغربال الشفاعمري، وبادر في العام 1983 الى انشاء رابطة المسرح العربي، ويشغل منذ العام 1996 منصب مدير عام مؤسسة «الأفق» للثقافة والفنون.

كتب وأخرج العديد من المسرحيات والتي قدمت جميعها على خشبة المسرح، وشارك في مهرجانات مسرحية دولية وفي البلاد كممثل وكاتب مسرحي، مثل في مهرجان نيويورك المسرحي في العام 1990، وفي مهرجان المسرح الآخر في عكا في العامين 1998 و 2002. وشارك في العام 2000 في ورشة للكتاب المسرحيين في المسرح الملكي في لندن، حيث ترجمت مسرحيته «بموت اذا بموت» الى اللغة الانكليزية وعرضت مقاطع منها في اطار الورشة. وفاز في العام 2002 بجائزة مهرجان مسرحيد الكبرى، جائزة أفضل ممثل على مسرحيته «اعترافات عاهر سياسي» وهي من تأليفه أيضاً.

كما شارك في التمثيل في العشرات من المسرحيات منها:

«رأس المملوك جابر»، «الموت الأكبر»، «أبو مطاوع وحرية المرأة»، «هيصة»، «الرجل الذي فكر لنفسه» و«حارق المعبد». كما شارك في التمثيل في برامج تلفزيونية مختلفة درامية وللأطفال.

صدر للكاتب:

1ـ يوم في عيادة، مسرحيات.
2ـ كفى ـ مسرحية.
3ـ الصمت القاتل ـ قصص قصيرة.
4ـ أبو مطاوع وحرية المرأة ـ مسرحية.
5ـ بيضاء الثلج والأقزام السبعة، مسرحية للأطفال.
6ـ جرس الانذار، قصص قصيرة.
7ـ بموت اذا بموت، مسرحية.
8ـ جذور الحركة المسرحية الفلسطينية، دراسة

من تأليف وتمثيل نيستي ستيرك:

مونودراما عن سيرة ذاتية لامرأة كردية تقيم في السويد

ستوكهولم ـ «القدس العربي»
ـ من عصمان فارس:

على مسرح cklaranatter نلتقي مع الممثلة الكردية Nisti Sterk في مسرحية «عالم زينوا» والمسرحية من نوع المونودراما ذات الممثل الواحد وعلى مدى ساعة واحدة تؤدي الممثلة نيستي القديرة والمتمكنة من ادواتها الفنية والتمثيل. ومسرحية «عالم زينوا» من اخراج المخرج السويدي Lasse karlsson والممثلة نيستي عمرها الحالي 27 سنة، هربت برفقة عائلتها سنة 1983 من تركيا الى السويد وكان عمرها آنذاك 5 سنوات فقط، والسبب هو الخلاص من جحيم الابادة والظلم والاضطهاد للاكراد في تركيا.. درست نيستي واكملت تعليمها في السويد ودرست المسرح في ستوكهولم، ثم عملت كممثلة في مسرح مدينة أوبسالا واجادت في دور اخت اليكترا.. وشاهدتها في «ادنى كباريه» مع المخرجة سوزانا اوستين. ونيستي ممثلة مجتهدة ولها العديد من المشاركات في الاذاعة والتلفزيون السويدي، ومسرحية «زينوا» من تأليفها وتمثيلها، والمسرحية عبارة عن سيرة ذاتية لسيدة كردية لها ثقافتها الخاصة بها واذا بها تواجه ثقافة اخرى غريبة.

يتم استحضار هذه الشخصية على خشبة المسرح بكل مكوناتها النفسية والاجتماعية واللغوية هناك مهمة لتعلم اللغة السويدية والاختلاط مع المجتمع السويدي واكتساب بعض العادات ورفض البعض الاخر، هناك تناقض بين تربية المجتمع والمدرسة وتربية الاسرة الملتزمة بالتقاليد الكردية والاسلامية وثقافة الاباء والاجداد، سلطة الاب القسرية والرقابة العائلية على كل سلوك يبدر من الشابة زينوا.

نيستي تؤدي دور زينوا وتحاول الدخول والولوج الى عالم المتلقي من خلال الحوار والتقرب من الجمهور بشكل مباشر وبشكل حميمي الغت كل الفواصل وحطمت الجدار الرابع ودخلت الى قلوب الناس لانها تتحدث بلغة صادقة، وتتقمص شخصية زينوا احيانا لكي تبرز مشاعر هذه المرأة الكردية وكيفية الاندماج في مجتمع وتعلم لغته والعمل داخل هذا المجتمع، وتنقلنا الى غرفة غسل الملابس وما يحصل من مفارقات وحوارات. ثم تحاول كسر الايهام والرجوع الى شخصيتها مع الحفاظ على شخصية زينوا وتبدأ بتوجيه الاسئلة الى الجمهور من السويديين والمهاجرين وبعدة لغات والمشاكل التي رافقتها وهي تواجه العنصريين الجدد في السويد، وكذلك المشاكل الاسرية من خلال سلطوية الاب واجبارها على عدم الخروج، ورفض الحب والزواج الا من نفس القومية ومن نفس قريتها، حاولت تقليد الاب واظهار عيوبه وخاصة عنصرية السلوك في تحديد مسار الحب والزواج.

نيستي شيرك في مشهد من مسرحية «زينوا»

زينوا في البداية تعيش في منطقة سكنية اسمها تينيستا في ستوكهولم وهذه منطقة يسكنها الاجانب بكثرة وتتحدث فيها عن المدرسة وعن الناس والاسرة والعلاقات الاجتماعية، وتسترجع بطريقة الرجوع الى الماضي «فلاش باك» الماضي الحزين وكيفية الهروب من تركيا ومقتل اختها من قبل الدرك التركي وهي تصرخ: اماه.. اماه.. في مشهد تراجيدي وحزين.. وتنقلنا مباشرة الى عالم الفكاهة والمداعبة لنسيان وطي الماضي الكئيب ومعاناة الاكراد، وتتحدث عن حب الاكراد لرئيس الوزراء السويدي المرحوم اولف باله، وكذلك الحديث عن فاطمة الشابة الكردية والتي قتلها اهلها لعلاقتها بشاب سويدي، وتحاول زينوا في كل الاحوال تسليط الضوء على بعض التقاليد المتخلفة والبالية في اضطهاد المرأة وسياسة الثأر المنبوذة.

ومسرح المونودراما منتشر في مسرح الطليعة ولكن هذه المرة مع نيستي وفي مسرح المدينة لكونها كاتبة النص وتؤدي الدور لوحدها ولكونها تجيد اللغة السويدية يتحدث المخرج Lasse Karlsson عن نيستي وقدرتها الفائقة في التمثيل وللمخرج تجارب عديدة في التلفزيون وفي الفرق المسرحية الاخرى. وفي قلب ستوكهولم يتابع الجمهور مسرحية زينوا وفي رحلة مع نيستي الممثلة القديرة وهي تتحرك بكل رشاقة وحيوية تحاول جذب الجمهور والتحاور معه.. وهي ممثلة بارعة ولها حضور فني وجذاب على خشبة المسرح، تشد المتلقي بكل حميمية وتدخل الى القلوب بدون استئذان، ونيستي ممثلة معروفة على نطاق السويد وهي تشق طريقها الفني بكل حيوية وبثقة عالية بالنفس وبدون تردد تنافس العديد من الممثلات السويديات المحترفات وتمتلك الجرأة والقابلية الفنية الرائعة.

تقول نيستي ان مسرحيتي هي سيرة ذاتية وظفت بشكل دراماتيكي وجذاب لتقنع المتلقي على انه رغم كل الخلفيات الثقافية والموروث لكن عليك بالاقتناع على انك تعيش في مجتمع اخر وثقافة اخرى.. ونيستي لها مشاريع فنية قادمة سوف تؤدي دوراً مهماً في مسلسل تلفزيوني اسمه «رجل الليزر» وتمثل في مسرحية الحقائب الثقيلة في المسرح الوطني ستوكهولم وللفنانة نيستي الجريئة والقادرة على شق طريقها الفني في وسط هذا العالم الثقافي الشائك.

فضائيات

صناعة وطنية في زمن البرامج المستوردة ورقابة الآباء على الانترنت مستحيلة!

زهرة مرعي*

■ «حكايا الناس» على شاشة تلفزيون المستقبل برنامج يستحق المتابعة لأنه ينقل إلينا صوراً ووجوهاً موجودة قريباً منا لكننا لسبب أو لآخر لا نراها. إنه برنامج يتولى البحث عن الناس الموجودين في العتمة، في الوقت الذي ينشغل به كل الاعلام على حد سواء في توجيه مزيد من الضوء على الوجوه الموجودة ليل نهار أمام الكاميرات. والمهمة هنا ليست نقل الوجه الآخر لهؤلاء الموجودين في الضوء، بل العمل على تلميع إضافي للصور المعروفة عنهم. في حين أن الوجه الآخر يبقى في العتمة تعرفه قلة وتتناقله.

«حكايا الناس» ينقب في الزوايا عن المنسيين حيث لهؤلاء أيضاً بطولات في مصارعة مصاعب الحياة والتغلب عليها بقوة الإرادة والعزيمة التي لا تلين. أمثال هؤلاء يستحقون التقدير والأوسمة، لكن من عادة مجتمعاتنا المزيفة الاحتفال بمن لا يستحقون.

«حكايا الناس» الذي تقدمه الممثلة القديرة كارمن لبس وراؤه مجموعة نشطة من المعدين الباحثين عن مادة تغني برنامجهم وتجذب إليه المشاهدين خاصة وإنه يعرض بعد نشرة الأخبار، أي في الوقت المصنف الذروة في المعايير الاعلامية المرئية. كارمن لبس تجيد التقرب من الأشخاص الذين تزورهم في منازلهم، أو الذين يزورونها في الاستديو، وهي بدأت في تلبس دور الصحافية المحاورة، لكنها في بعض الأحيان تتعاطى مع ضيوفها وكأنهم حالة غريبة جداً يفترض استكشافها. في كل الحالات يمكن القول أن «حكايا الناس» يقدم لنا كل ما نرغب بالتعرف إليه من تلك الشخصيات الانسانية الكثيرة التواجد في مجتمعنا الذي تكثر فيه الحالات الاجتماعية الصعبة على مختلف الصعد.

«حكايا الناس» برنامج من الصناعة الوطنية في زمن هجمة البرامج المستوردة على شاشاتنا جميعا. كما انه برنامج يلتزم الانسان بشكل عام، وليس قلة قليلة فقط من الذين صادروا الاستديوهات وراحوا يتنقلون بينها يلوكون الكلام نفسه. تحية لمنى سعيدون صاحبة الفكرة والمنتج المنفذ للبرنامج، وكذلك للمعدين والمخرجين المجتهدين في تقديم الصورة الواقعية عن ضيوفهم.

× يبدو أن المسؤولين في الأقنية التلفزيونية اللبنانية يقصدون أوروبا أو الولايات المتحدة لشراء حقوق البرامج فيجدون أمامهم معروضات تشبه موضة الملابس أو موضة الشعر أو غيرها. قبل سنوات سادت موضة البرامج التي تنشد الربح من خلال المسابقات. وفي السنة نفسها التي طل علينا فيها ستار اكاديمي طل سوبر ستار في فاصل زمني لا يتعدى الأشهر.

حالياً نحن مع المصمم العربي على شاشة المستقبل، وقريباً جداً سيليه برنامج مماثل على شاشة ال بي سي. وبالأمس انطلق برنامج Deal or no Deal الذي يعرض أمام المتسابقين آلاف الدولارات والذي أعاد إلى الشاشة المذيع ميشال سنان المعروف بـ«سعيدة» التي كان يرددها حين يقدم نشرة الطقس. وقريباً جداً سوف تطل ميراي مزرعاني حصري بعد غياب طويل في برنامج مسابقات تم شراء حقوقه لصالح تلفزيون المستقبل من برنامج «تشاو دارون» الايطالي ليصبح في لبنان تحت عنوان «انت مع مين».

وهنا لا بد من التساؤل هل هي الموضة التي ترغب القناتان الأشهر في لبنان بترويجها على المشاهدين العرب في مختلف أنحاء العالم؟ أم هو توارد أفكار بينهما؟ ربما لا يكون هذا ولا ذاك، بل تكون سلة المعروضات الغربية في برامج التلفزيون هي التي تتحكم بشاشاتنا وبالتالي بأمزجتنا، في حين يعجز هذا العقل العربي الذي توسع كثيراً على الصعيد الفضائي من ابتكار أي جديد.

الأذن الطرشى!

■ «حدا يسمعنا» فتح الشاشة في حلقته الأخيرة لعدد من المعوقين الذين تحدثوا عن همومهم ومشاكلهم مع المجتمع الذي بالكاد يعترف بالحد الأدنى من متطلباتهم وحقوقهم كأصحاب احتياجات خاصة. ساعة من الزمن تحدثوا خلالها عن أوضاعهم، وتمكنوا من إيصال أفكارهم بمساعدة حيناً أو من دون مساعدة في الكثير من الأحيان. وقد شكلت تلك الحلقة لفتة يمكن أن نحسبها لصالح «حدا يسمعنا» لأن هؤلاء يحتاجون فعلاً لمن يسمعهم، كما نحتاج نحن المشاهدون لكسر الصورة النمطية التي نعرفها عن الشاشات حيث باتت بمجملها مسخرة للرقص و«الفقش» والغناء، وللوك وملكات الجمال. «حدا يسمعنا» قال أن للضرير، والمقعد، والأصم، والمتخلف عقلياً مكانه على الشاشة، وهو من المؤكد سوف يجد من يسمعه، حتى وإن كنا نعرف أن المسؤولين في الدولة غالباً ما يديرون الأذن «الطرشى» لمطالب الناس. في الكثير من الحلقات بدأ برنامج «حدا يسمعنا» يكسر الإحتكار الموجود على الشاشات، وبدأ يدخل إلى زوايا كل الناس.

الكونترول

■ يتندر المشاهدون المتابعون عن قصد أو بالصدفة يوميات برنامج ستار اكاديمي بالحوارات المهمة والشيقة التي تدور بين الشباب والصبايا. البعض يرى فيهم «شي بيسلي» والبعض يرى فيهم «طق حنك» والبعض الآخر يقول «يا عيب الشوم». ولأن البرنامج خاضع للمراقبة قبل البث حتى وان كان يتخذ طابع تلفزيون الواقع، فالمسؤول عن كل ما يصل إلى المشاهدين هو «الكونترول» المولج بالمراقبة وبالمنع وبالنشر على السطوح. والسؤال هنا لماذا يصرّ هذا الكونترول على إظهار سخافة بعض من في الاكاديمية؟ ولماذا يصر على الدوام على إظهار «فادي» على أنه «جغل» هذه الدورة من برنامج ستار اكاديمي؟

حوار مفيد

■ تمكن برنامج «حديث الصباح» من قناة الجزيرة من تحقيق مكانة له بين البرامج الصباحية نظراً لجديته ولمسؤوليته في إختيار الموضوعات المطروحة للنقاش. قبل يومين ناقشت المذيعة جلنار موسى عنوان «الأطفال والانترنت.. منافع ومضار»، وكانت النتيجة على مستوى جيد جدا من الفائدة لمن تابع الحلقة. الموضوع أُسند بتحقيق ميداني من بيروت مع أطفال ومع بالغين يقصدون مقاهي الانترنت للبحث عن معلومات تفيدهم في دراستهم. وكان حوارا شيقا وواقعيا جداً مع صحافية مختصة بالانترنت من مصر هي سمر دويدار والتي وضعت النقاط على الحروف فيما يتعلق بمنافع ومضار الانترنت.

وقد أقرت سمر بأن طرح المراقبة ليس واقعياً أو ربما هو مستحيل، ويبقى الجسر الأهم بين الأبناء والآباء هو الثقة، ومن ثم بناء الضمير لديهم، ومن بعدها ينطلقون في تعليم أطفالهم كيفية اختيار الموضوعات المهمة والضرورية لهم.

وفي سردها للمخاطر حذرت من الصفحات الاباحية التي تواجه أحياناً كل من يدخل شبكة الانترنت من غير قصد منه. لكن أهم ما جاء على لسان سمر هو ضرورة محو أمية الآباء التكنولوجية بحيث يتمكنون من الحوار مع أطفالهم بشأنها، ويتمكنون بالتالي من حمايتهم من بعض المخاطر الداهمة. حوار صباحي مفيد وضروري في عصر الشبكة العنكبوتية.

■ اعتذار: أعتذر من القراء الكرام عن تسرعي في نسب برنامج «شاكو ماكو» إلى نيشان في حين أنه برنامج تم شراء حقوقه. شكراً للقراء الذين كتبوا مستغربين عدم دقتي، وشكراً للقراء الذين لم يكتبوا مع الإعتذار الشديد.

* صحافية وكاتبة من لبنان
zahramerhi@yahoo.com

وارضيات